أثر العولمة في اللسان الرسمي
(العربية نموذجا)

الدكتور حلام جيلالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة سيدي بلعباس / الجزائر

إن ظاهره العولمة ـــ في منظور الشمولية الكونية ـ باتت تتطاول على المجتمعات الوطنية والقومية في مقوماتها الثقافية الأساسية: الفكر، واللغة، والآداب. والفنون والتاريخ والعادات. والتقاليد. وحتى أنماط العيش والسلوك. مما يضع الدول أمام أخطر تحد ـ بعد زوال الاستعمار الاستيطاني والحرب الباردة ـ وهي نستشرق الألفية IIلثالثة.

وتأتي هذه الورقة لتطرح إشكالية العولمة. وأثرها في اللسان الرسمي للأمة. وتتمحور حول مفهوم العولمة. وأثرها في المجال اللغوي. وكيف يمكن اللسان العربي أن يواجه تحدياتها علميا وإعلاميا.

تشير القرائن والمعطيات الماثلة في الساحة الدولية المعاصرة أن الصراع القادم ـ خلال الألفية الثالثة ـ إنما هو صراع حضاري. مناطه القيم الرمزية والثقافية للأمة أكثر مما هو صراع اقتصادي على المنافع المادية. وإن كانا متلازمين.

ولا شك أن "ثمة جهودا خارقة تبذل لكي يتخذ العالم صورة واحدة. ولا ريب أن الحصيلة النهائية لمثل هذا التطور ستكون في المجال الثقافي[1] وهو مجال يشمل بمعناه الإنساني (الأنثروبولوجي) كل ما أبدعه الإنسان أو ما اكتسبه. بما في ذلك الجانب الموضوعي المتصل بالممارسات الفكرية والفنية والأدبية والاجتماعية. أو الجانب الذاتي المتصل بالقيم العقلية والنفسية والروحية واللغوية. أي: ما يشكل في جملته المرجعيات الحضارية للأمة.

---

[1]- هانس بيتر مارين ونار الدشومان، فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية. ت/ عدنان عباس علي عدد 238 / 1989 عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ص490.

ومن هذه الوجهة تسعى العولمة لتجعل العالم المتعدد والتمايز والمختلف في جغرافيته. لغته وثقافته. وقيمه الحضارية. كتلة واحدة يحركها ويهيمن عليها جهاز أحادي القطب. هدفه تدويل الخدمات العامة[2] وخوصصة المؤسسات والكيانات المستقلة اقتصاديا وسياسيا وثقافيا. وفتحها على العام أو عولمتها. فالعولمة الاقتصادية ليست بمنأى عن العولمة السياسية. وليست هذه بمنأى عن العولمة الثقافية. والخوصصة في النظام العالمي الجديد مرحلة تمهيدية في طرين العولمة كما هو الشأن في تفكيك السلطة إلى أحزاب متعددة الاتجاهات. وتجزئة الوحدة الوطنية الى أقاليم جهوية وأقليات. والقيم الرمزية إلى ثقافات ولهجات. ومؤسسات الإنتاج إلى شركات متعددة الجنسيات. مما يسهل توجيهها والهيمنة عليها. فهي من هذه الوجهة تقوم على منطق المغالبة: من لم يصل إلى تطوير مصادر قوته ويحافظ على قيمه الرمزية ويشارك في تصدير إنتاجه الاقتصادي والثقافي ينضو تحت طائلة أو هيمنتها العولمة.

مفهوم العولمة: إن العولمة مصطلح مقاسي (Standard) يشمل كل مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية. وإن وجدناه في أساسه يرتكز على المضمون الاقتصادي. وهي تعني لغة: الكلية الجغرافية والبشرية ومقوماتها **المادية** والروحية، مما يجعلها تقابل في الألسن اللاتينية كلا من (Mondialisation) و(Globalisation).

ولكن أحسن تعريف لها ما ذكره عابد الجابري، وهو أنها " تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل- وجعله في مستوى التسخير العالي،

---

[2]- بريهو براجا– تدويل الخدمات وتأثيره في الدول النامية. مجلة التمويل والتنمية / عدد مارس 1996 واشنطن/ امريكا من نتائج العولمة في تدويل الخدمات ما يعرف بالخمس الثري. حيث إن قلة من السكان والدول تستأثر بأكثر من 85 % من الناتج العلمي في المجالات الاقتصادية والثقافية في ضوء حضارة التي تسعى العولمة لفرضها .

بحيث ينقل من المحدود المراقب إلى غير المحدود الذي ينأى عن المراقبة" [3]، ويقوم هذا التعريف على مبدأ تغيير الثوابت ويشد إلى العنصرين الآتيين:

أ – المحدود **المراقب**: وهو أساس الدولة الوطنية أو القومية أو الأمة، ويشمل: الحدود الجغرافية ، والسيادة السياسية وغيرها من مقومات البنية التحتية والفوقية في الدولة.

ب - غير المحدود وغير المراقب: وهو العالم، وتمثله هنا القوة المهيمنة في شكل دولا أو مجموعة من الدول أحادية القطب. ويقوم بإلغاء الرقابة على المقومات السابقة وتوسيع دائرتها وتوجيهها استهلاكيا لتبقى مسيرة من قبل شركات معينة ومسخرة وفق أهداف مرسومة.

ويرى المفكر محمود أمين العالم أن العولمة مفهوم مركب: سياسي، اقتصادي، ثقافي، يصبح معها الاستتباع كلها والسيطرة عامة: اقتصاديا وتكنولوجيا وعسكريا وإعلاميا وإيديولوجيا ولغويا وثقافيا وحضاريا[4].

ويذهب كل من عقلة عرسان. وسمير أمين. وصادق جلال العظم وغيرهم. مذهبا قريبا مما سبق خلاصته أن العولمة تعني هيمنة دول المركز وسيطرتها -في ظل نظام عالمي- على بقية الدول الأخرى في جميع المجالات الحيوية. كوحدة سيبيرنية

---

[3]- محمد عابد الجابري: العولمة في الساحة الفكرية الراهنة. جريدة الرأي عدد 21 مارس 1999 وهران الجزائر.

[4]- محمود أمين العالم: الثقافة والعولمة النص الجديد ع/ 8/ 1988 دار الخشرمي المملكة العربية السعودية ص: 18

موجهة[5] أو هي (رسملة العالم على مستوى العمق بعد أن كانت رسملته على مستوى سطح النمط ومظاهره)[6] .

كما يذهب بعض الدارسين أنه مادامت ممارسة هذا النسق من التغيير في العصر الحديث مرتبطا بأمريكا. وأمها إنجلترا. وحفيدتها إسرائيل فقد بات هذا المصطلح يعني (الأمركة) ليصبح المفهوم السابق يعني تعميم الطابع الأمريكي في نموذج ما بعد الرأسمالية. وهو نوع من الاستعمار المفتن حيث سمى الخارجية الأمريكية الجديدة إلى البحث عن إجماع على سياستها الاحتوائية بواسطة قوى الإدماج المتمثلة في المؤسسات العالمية التي خضعت وظائفها للمراجعة وممارسة البعد العولمي بعد انتهاء الحرب الباردة[7] .

*** اللّغة والهوية الثقافية :**

إن التمايز أمر طبيعي في المجتمع الواحد. غير أن عنصر الانتماء الثقافي يظل بعدا حضاريا يعلن عن وجود الأمة واستمرار مشروعها المستقبلي المتميز، وتشكل الهوية الثقافية في هذا المجال تلك الحصيلة المشتركة بين الدين واللغة، والمعرفة والعمل. والفن، والأدب والتراث. والقيم. والتقاليد والأخلاق. والتاريخ، والوجدان. ومعايير العقل والسلوك وغيرها من المقومات التي تتمايز في ظلها الأمم والمجتمعات وليست هذه العناصر ثابتة، بل متحركة ومتطورة أبدا باعتبارها مشروعا مستقبليا يواكب مستجدات العصر، وهي قابلة لتأثير والتأثر، كما يوجد

---

[5]- انظر: عقلة عرسان. الأسبوع الأدبي. سوريا عدد 5 / 5/ 1998 ص1. وانظر الجابري م-س وانظر Finance et développement. Septembre 1998 USA WASHIHNTONE P:36.

[6]- محمد عابد الجابري. م . س١ب. ص.11.

[7] - عقلة عرسان الأسبوع الأدبي سوريا عدد 5/5 / 1998 . ص: 1 .

قدر كبير من الثقافه إنساني آت من ا لتوا صل والتفاعل بين ثقافات الأم المختلفة. يوجد قدر خاص يحفظ هوية مجتمع من المجتمعات. وتمثل اللّغة أخص خصائص هذه الهوية...

والمقصود بعولمة الثقافة هو جعلها تصب في أهداف النظام العالمي الجديد. حيث تفرض نموذجا لغويا معينا. وآخر استهلاكيا بساعد على هيمنة الأقوياء وإضعاف طموح الأمم الأخرى ذات الحضارات العرقية. أو تلك الأمم التي تحمل بديلا فكريا وثقافيا. كما يحدث الآن في بعض دول العالم الثالث. العربية الإسلامية بخاصة.

ويبدو أن الحضارة الغربية قد خططت لهذا المنحنى. منذ أمد بعيد. وربما ظهرت بعض اثاره في الاقتصاد ولما تتضح معالمه في الثقافة، ومع ذلك، فإن العولة في المجال الثقافي تسير بسرعة فائقة مستعملة وسائل تكنولوجية متطورة كبنوك المعلومات. ووسائل الإعلام. والأقمار الصناعية ومراكز المعلوماتية عبر شبكات الأنترنيت. وبرامجها محررة غالبا بألسن محدودة ومقصودة.

ومن هذا المنطلق سيكون للعولمة تأثير خطير في عناصر تشكيل الهوية الثقافية للأمة. وخاصة وسيلة التواصل التي هي اللّغة. لأن تأثيرها في اللسان بات أمرا واقعا. وسيبلغ التسابق إلى الصدارة بين اللغات الضعيفة. التي لا تستطيع أن تواكب مستحدثات تكنولوجية متطورة.

وبدأ عولمة اللّغة مع محادثة التعامل الخارجي في تواصل الجماهير المباشر. إذ تفرض الشركات. والبنوك والمنظمات والمؤسسات العالمية والإعلامية التابعة لبعض الدول المتطورة تكنولوجيا. هيمنتها على دول أخرى قصد استغلال مجالاتها الثقافية الاقتصادية والسياسية إلى أن تصبح حقا مشاعا تستثمره القوى العالمية في تحقيق اغراضها، (7) وأكثر ما تعتمد في هذا المنحى على المعرفة العلمية والتقنية التكنولوجية والاتصال المعلوماتي، وهي ظاهرة تخول للأقوياء دخول كيانات الأمم في شكل خدمات اقتصادية أو ثقافية أو علمية أو عسكرية، وسرعان ما يمتد تأثيرها إلى الجانب. التواصلي،

فتعمل لغرض لغة أجنبية. باعتبارها لغة المعلوماتية - لتزاحم اللّغة الرسمية، في شكل ازدواجية تسهل التواصل والخدمات العامة، إلى أن تتغلب عليها.

ولعل الحديث عن اللّغة العربية والعولمة موضوع متشعب ليس في وسع باحث واحد أن يتناول كل قضاياه، لذلك تقتصر مداخلتنا على تأثير العولمة في اللّغة، وكيفية مواجهتها في هذا المجال.

***أثر العولمة في المجال اللغوي:**

من المقولات الاستشرافية في هذا التوجه، ما أشار إليه الكاتب صموئيل هافتينغتون، في قول له: إن العالم يتوجه نحو حرب حضارية تكون فيها القيم الثقافية والرمزية هي الحدود القتالية[8]. ويقول السياسي الفرنسي بينو **Pinot** (وزير سابق في الحكومة الفرنسية): (لقد خسرت فرنسا إمبراطورية استعمارية وعليها أن تعوضها بإمبراطورية ثقافية)[9] . وهذا يعني أن المدخل الحقيقي للاستعمار الجديد هو الهيمنة اللغوية والثقافية. وقد نكرت في إثارة أن عولمة الاقتصاد لا تتم بمنأى عن المجال الرمزي والثقافي للأمة. وتعد اللّغة أخص هذه المقومات الرمزية. وسعى النظام العالمي الجديد منذ أمد في تكريس هيمنة لغات معينة ونشرها بشتى الطرق والوسائل. وروج لها باعتبارها لغات العلم والعمل. حتى بات يعتقد ان اللغات الأنغلو سكسونية هي سر التقدم.

ومن الطروح الساذجة التي ينبذها التاريخ أن يربط التخلف والتقدم بلغة معينة. إذ لو كان الأمر كذلك لاكتفت الشعوب المتخلفة بتعميم استعمال اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو اليابانية، ولأصبحت الدول الفرنكوفونية والأنغلوسكونية متقدمة.

---

[8]- د. بوزيد بومدين. العربية متعبة ،بأهلها. الخبر/ الجزائر 29 / 7 / 89 . ص: 21.

[9]- يرجع إلى .pinot

إن ربط التقدم والتخلف بطبيعة اللّغة أصبح أطروحة بالية لأن اللغة وسيلة وليست غاية، والتحكم في التكنولوجيا والمعلوماتية وإنتاجهما لا يقومان على لغة دون أخرى، بل إن اللغة الأم هي اللبنة الأساسية لأي إبداع، ولا توجد أمة من الأمم أسست حضارة بغير لغتها الرسمية.

ومن المؤشرات الدالة على بداية الصراع اللغوي في السنوات الأخيرة ما يأتي:

1- التنافس الرهيب في مجال المعلوماتية وشبكات الأنترنيت، ومحطات الإرسال التلفزيوني بلغات معينة ومحدودة. مما يحاصر كثيرا اللغات القومية.

2-العمل وإنتاج ثقافة استهلاكية تخدم النظام العالمي الجديد، وتوجيه المقومات الأساسية لدولة ما وتقليص خصوصيتها وبخاصة في الدول غير القادرة على الإنتاج الثقافي المتميز بلغتها الرسمية مما يسهل استتباعها حضاريا للغرب.

3-- محاولة إضعاف اقتصاديات بعض الأمم، من أجل تفويض حضارتها وإضعاف لغاتها مع تشجيع الأقليات اللغوية ودفعها إلى خلق صراعات داخلية كما هو الشأن في الاتحاد السوفياتي (سابقا) والعراق والجزائر وغيرها.

4- التأثير في ذاكرة الأمة، بالسعي إلى طمس تراثها الثقافي الأصيل ومحاولة تشويهه[10] وفقا لنظرية الحتمية اللغوية التي قام بها الفيلسوف الألماني ولها لم همبولت (1767 - 1835 W.HUMBOLDT) ثم أثارها اللغوي الأمريكي إدوار سابير E.SPIR، ونظرتهم إلى الكون، للعادات التي اكتسبوها من خلال استعمالهم لغة قومهم[11].

---

[10]- تأثيرات العولمة في ذاكرة الأمة، ندوة القاهرة الخبر 4 / 8 / 89 ص: 21

[11]-الشاذلي الفيتوري: اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت دار الشرق، 1982، ص 86 وما بعدها.

5 – استغلال صدمة الحداثة من أجل تحقيق العولمة وتصدير ثقافات لغات معروفة بوسائل متطورة إلى شعوب لا تقوى على مواجهتها مما يؤدي في النهاية إلى الاستسلام والتقاعس يقول العالم الأمريكي مارك شارل Marc RICHELLE : إنّ في الاصطدام الثقافي شقما حقيقيا ينتاب الثقافة المصدومة[12].

6 – ويتضح من هذا أن المعركة في الميدان اللغوي من الغزو أو الاستعمار الطوعي، يمارس على كل أمّة لإضعاف مقوماتها الحضارية وفي مجال اللغة يمون اللسان المبين المواكب لتكنولوجيا العصر هو الذي يفرض نفسه على الآخرين ويدخل المحافل الدولية، أو بمعنى آخر فإنّ اللسان القوي هو المتحدث واللسان الضعيف هو المستمع وشتان بين الموقفين ويبدو من الناحية أن للعولمة جانبا إيجابيا من حيث إنّها "قادرة على فرض وإنتاجه ثقافة ذات طابع كوني بمشاركة مفتوحة من كافة الأمم[13]. غير أنّ هذه المشاركة غالبا ما تكون جائزة ويكون فيها التأثير الأكبر للدولة المتقدمة التي تملك وسائل لغوية واتصالية قوية ومتطورة.

وتؤكد الشواهد التاريخية أن فناء الأمم نادرا ما يكون بسبب الإبادة الجسدية عسكريا أو بسبب الانتماء السياسي أو اختلاف الأجناس، وإنّما يكون بسبب اختفاء لغاتهم.

ومن الثابت أن القوة المادية تكون نتيجة القوة الرمزية فالقوى الاقتصادية والعسكرية والسياسية كثيرا ما تكون عرضة للانهيار إن لم تمتلك كيانا ثقافيا وقيما حضارية تصونها، وأكثر ما تتجلى هذه القيم في اللسان

---

[12]- الشاذلي الفيتوري: اللغة العربية والوعي القومي، م.س.ص 159..

[13]-رؤوف عباس ندوة القاهرة الخبر م.س.ص 21

المتكلم، ولذلك تحرص كل أمّة على تطويره وصيانته ونشره بشتى الوسائل والطرق.

ولا شك أن اللسان العربية هو أبرز ما يميز المجتمعات العربية اليوم، ويؤكد وجودهم في المجتمع الدولي، نظرا إلى ما يتميز به من قدرة تعبيرية وطاقة لفظية مكنته من استيعاب تراث العالم ومغالبة الاستعمار الثقافي ومواجهة التحديات الحضارية وما أبدعته المدنية المعاصرة.

مظاهر عولمة اللغات:

إن عولمة اللغات ليست جديدة، بل ظهرت جذورها مع موجات الاستعمار الاستيطاني في العالم الثالث عامّة وفي العالم العربي بخاصة وقد بررت تلك الهجمات في المظاهر الآتية:

1 – محاولة إلغاء اللسان العربي واستبدال الإنجليزي، في المشرق العربية واللسان الفرنسي في المغرب العربي ومن أمثلة ذلك القرار الفرنسي سنة 1949 ونص ترجمته: "لا ننسى أن لغتنا (نعني الفرنسية) هي اللغة الحاكمة، فإن قضاءنا المدني والجزافي يصدر بأعظم ما يمكن من السرعة جميع البلاغات الرسمية، وبها يجب أن تكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا، فإن أهم الأمور التي يجب أن يعتني بها قبل كل شيء هي السعي لجعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذي عقدنا العزم على استمالتهم إلينا واندماجهم فينا وجعلهم فرنسيين[14]وقد طبق هذا القرار في كل الدول العربية التي كانت مستعمرة فرنسيا أو إنجليزيا أو إسبانيا.

[14]-ساطع الحصري، اللغة العربية والقومية بيروت 1976، دار القدس ص 44

2 – محاولة استبدال اللهجات المحلية باللغة العربية الفصحى، أو كتابها بالحروف اللاتينية، كما حدث في تركيا والفيليبين مع تشجيع أكثر من لهجة في القطر الواحد[15] ومن أمثلة ذلك إنشاء الأكاديمية البربرية في باريس سنة 1962 بعد استقلال الجزائر من قبل الحكومة الفرنسية من أجل بعث التيار المعارض، وقد جاء في وثيقة صادرة عن هذه الأكايمية بتاريخ 1973/01/25 ما ترجمته: 5إن تاريخ شمال إفريقيا كما يدرس الآن كله تزييف وتحريف، ويجب على البربر أن يتحدوا ضد جريمة نكراء اسمها العربية)[16] وقد وجدت هذه الدعوة عددا من الأنصار من أمثال سلامة موسى في مصر، وسعيد عقل في لبنان وموفود معمري في الجزائر وغيرهم ومن الثابت أنّ موقف هؤلاء لا ينبعث من اعتقادهم بعجز اللغة العربية بقدر ما هو نتيجة إعجاب يصل إلى حدّ الاستسلام للحضارة الغربية[17].

3 – السعي للتقليل من أهمية اللسان العربية باعتباره لغة ثانية في الأقطار المستعمرة آنذاك، كما حدث في مصر على لسان المستشرق وليم ولكوكس (1852-1932) الذي دهب إلى القول إنّ المصري يقرأ العربية ثم يترجم ما قرأه إلى العاميّة وأن عليه في هذه الحالة أن يرسم العاميّة بالحروف اللاتينية أو يتبنى اللسان الإنجليزي[18].

4 – ومن المفارقات القاصرة في هذا الصدد الذهاب إلى تحميل العربية تبعات التخلف الحاصل في المجتمعات العربية في المجالات العلمية

---

[15]-كمال خيربك، حركة الحداثة للشعر العربية المعاصر، بيروت دار الشرق، 1982، ص 86 وما بعدها.

[16]-الدكتور أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدإ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر الجزائر 1981.

[17]- صالح أحمد العلي، اللغة والوعي العومي م.س.ص 178.

[18]- حصاد الفكر العربي في اللغة العربية، بيروت مؤسسة ناصر الثقافة، ط/1982.ص32

والتكنولوجية ومن المسلّم به أن اللغة العربية أداة للتعبير ووسيلة للتفكير وليست هي التفكير نفسه.

وانطلاقا من هذه المظاهر يبدو أنّ الهدف من هذه الدعوات هو العمل لتشويه اللسان العربية الفصيح ومحاولة تمزيقه وتفريقه بين اللهجات المتباعدة، مما يؤدي إلى وجود ركام من اللهجات العربية الهزيلة سواء من حيث الرصيد اللفظي أم المفردي أم من حيث النظام اللساني، وتكون نتيجة ذلك هجر هذه اللهجات وتبني اللسان الأجنبي لغة رسمية كما حدث في المستعمرات.

وأزعم أنّ الألفية الثالثة ستكون ميقاتا لجعل العلم يقبل على إقصاء كثير من اللغات غير القادرة على مواكبة التحولات العلمية فإذا كانت اللغات المستعملة اليوم في المدى المتوسط زهاء 25 خمس وعشرين لغة مكتوبة ومتكلما بها، منها ست لغات في المقدمة (العربية، الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الإسبانية، الروسية) فإن هذا العدد سيتقلص إلى زهاء 15 خمس عشرة لغة أما اللهجات المحلية والإقليمية والجهوية فسيزول أكثرها في خضم عولمة القيم الرمزية للأمم.

مواجهة العولمة لغويا: لقد باتت العربية تشكل قطبا حضاريا يحسب له ألف حساب في مقابل لغات منافسة، وبخاصة أنها حققت في سالف عهدها ما لم تحققه أية لغة أخرى، ولذلك منافسة، وبخاصة أنها حققت في سالف عهدها ما لم تحققه أية لغة أخرى، ولذلك بفضل أصالتها، واتساعها، وقدرتها على التوليد والنمو وسهولة مواكبة مستجدات كل عصر.

وتأتي العربية في مقدمة اللغات المستهدفة لعدة أسباب منه:

1 – أنها لغة أصيلة، فما أضيف إلى العربية من مفردات دخيلة ومعربة في العصر الحديث لا يتجاوز (5)، علما بأن جل ما أضيف إلى المعجم العربية عبارة عن مصطلحات هادية لا تتعلق بالمظاهر الفكرية والعاطفية والاجتماعية[19]مما يجعلها قادرة على مغالبة العولمة والحفاظ على هويتها الحضارية ومواكبة المستجدات.

2 – إنها لغة متجددة مع العصر، قادرة على العطاء والنمو والتوالد بما تملكه من ثراء في آليات التوليد الصوري والدلالي.

3 – إنها لغة حفظت أكثر من نصف تراث الكرة الأرضية من الاندثار والضياع وفتحت للإنسانية آفاقا رحبة في العلم والمعرفة في عصر خيم فيه الظلام على أكثر شعوب المعمورة.

4 – إنها لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي الذي يدين به أكثر من مليار مسلم، كما أنها حاملة لأعظم رسالة تشريعية شاملة تنظّم الكون وتضمن سلامته عبر الزمن.

5 – إنها لغة متميزة بخصائصها الأسلوبية، والبيانية، والثقافية، والعلمية والفنية.

وهذه الأسباب وغيرها، بقدر ما تجعل العربية مستهدفة، تثير الغبرة في أهلها للحفاظ على سلامتها وتطويرها وجعلها قادرة على الصعود أمام تحديات العولمة.

ولا غرابة أن نجد اليوم الأمم المتطورة دائمة المتابعة للغاتها، تسعى إلى تنقيح أساليبها وإثراء معجمها بالألفاظ الحضارية، والمصطلحات العلمية والعمل لنشرها بين الشعوب بشتى الوسائل ومنها المنح الدراسية،

---

[19]- صالح أحمد علي، م.س.ص.ص:167

والرحلات العلمية المجانية، والندوات والملتقيات الدورية والتبرع بالكتب والأشرطة التلفزيونية والأسطوانات الحاسوبية والأجهزة السمعية البصرية وشبكات الاتصال.

وليست الغيرة على سلامة اللغة العربية بدعا في حياة العرب والمسلمين، فقد سمع الرسول صلى الله عليه وسلم أحدهم يلحن في كلامه فاعتبر اللحن ضلال قال: "أرشدوا أخاكم فقد ضل[20] كما شدد الخلفاء بعده على صيانة اللسان وتطويره.

ولا يخفى ما لهذا الربط بين اللحن في اللغة والضلال الاجتماعي، وجاء في الشواهد التاريخية القديمة أن كونفوشيوس (551-479 ق.م) فليسوف الصين، سئل عما يصنع أول الأمر إذا كلف بأمر البلاد، فقال: "إصلاح اللغة بالتأكيد، الإنجاز لن ينجز، وإذا لم ينجز ما يستحق الإنجاز، فإن الأخلاق والفنون يحل بهما الانحطاط، وإذا ما انحطت الأخلاق والفنون فالعدالة سوف تنحرف، وإذا ما انحرفت العدالة فسوف يقف الناس مضطربين لا حول لهم."[21]

ويذهب أكثر علماء اللغة المعاصرين مثل عبد السلام المسدي وحسان تمام وجوليا كرستيفاوتوم تشومسكي وغيرهم، أن اللغة ترتبط بالبنى الاجتماعية ارتباطا وثيقا ومؤثرا[22]، وتسير في أشكال مترجحة طرفها الأول هو مستوى ثراؤ اللغة وطرفها الثاني مدى الرقي الحضاري للأمة.

---

[20]- ابن جني، الخصائص دار الكتاب العربي، بيروت 1952 ج3/ص 264.

[21]-زكي الجابر: اللغة العربية والإعلام الجماهري المجلة العربية للثقافية م.س.ص87

[22]-زكي الجابر.م.س.ص 87

وأمام هذه النقلة الحضارية التي يشهدها العالم، فليسمح لنا الخالدون من علماء المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية في الوطن وكذا أصحاب القرار-مع تقديرنا الكامل لجهودهم الجبارة – أن نعتب عليهم تماطلهم في مواكبة مستجدات العصر بما يتطلبه من معاجم لغوية ومختصة وموسوعات علمية عادية ومرحلية، وأشرطة علمية، وإعلام موجه عبر شبكات الأنترنيت والأقمار الصناعية لترقية اللسان العربية المعاصر.

صحيح أن المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية العربية قد بذلت جهودا مضنية وأبلت البلاء الحسن في سبيل ترقية اللسان العربي، غير أن ذلك يظل غير كاف في عصر تتجدد فيه الثقافة بسرعة الضوء، عصر يواجه فيه اللسان العربي تحديات كبرى واستراتيجيات مدروسة.

إن تحديات العولمة في المجال اللغوي لا يمكن مواجهتها إلا بانبثاق (عوربة) قادرة على تحصين العربية في الممارسة اليومية ضمن جملة من الشروط يأتي في مقدمتها:

1- بعث الإرادة الحضارية في متكلمي لغة الضاد باعتبار اللسان منطلقا لتشكيل شخصا نية الفرد والمجتمع من حيث الوجود، والتمايز، والبقاء، وجعله عضوا منتجا وشريكا في صناعة الدفع الحضاري لا تابعا ومستهلكا.
2- إيقاظ مشاعر الهوية الوطنية المعززة بالقيم الحضارية الثابتة، لتقف سدا منيعا أو حصينا أمام الاختراق اللغوي والثقافي، وتشارك في صياغة مستقبل الوطن العربي، "فالتفكير على نحو كوني والعمل على نحو محلي أمران حسنان إلا أن الأحسن منهما هو أن يكون العمل مشتركا عبر الحدود الوطنية[23].

[23]-هانس بيتر: م.س.ص399.

3- إثراء الرصيد المفردي أو اللفظي بالمستجدات من الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية التي تدخل في هندسة الخطاب التقني والتكنولوجي المعاصر.
4- توفير المعجم الوظيفي العادي والحاسوبي بأنواعه المختلفة (اللغوي-المختص-الموسوعي)، الأحادي والثنائي والمتعدد الألسن.
5- إغناء المكتبة العربية بالكتب العلمية تأليفا وترجمة، استعدادا لاستكمال تعريب التعليم العالي بجميع شعبه.
6- إنشاء مخبر لتصنيع البرامج الحاسوبية وبرامج شبكات الأنترنيت في جميع المعارف الإنسانية بلسان عربي مبين، وتطوير بدائل المنافسة اللغوية في التواصل العلمي والثقافي، مع تأسيس شبكات عربية موجهة عبر الأقمار الصناعية لبنوك المعلومات والحصص التلفزيونية العلمية والثقافية الهادفة ابتغاء منع الاحتراق اللغوي والثقافي، وإعطاء الباحث العربي بديلا مناسبا وثريا.
7- إصدار نشرية أو دورية موحدة ومنمطة لمواليد المصطلحات العلمية، تتولى إصدارها المجامع اللغوية العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتنسيق مع الجامعات والمؤسسات التعليمية والصناعية في الوطن العربي.

ونحن نعتقد في النهاية أن اللسان العربية مكتمل وقادر على المواجهة ولا يحتاج إلاّ إلى الإدارة الحضارية والفعل الآتي، (ومن توفرت فيه هذه الإدارة وعمل على ترجمتها فهو دون شك، يكون قد أمسك بناصية الحل، وحاز مفتاح الباب السري لعملية التقدم[24] والدخول

[24]-الدكتور حسن جابر، اللغة والتحول الحضاري المنطلق، عدد 1991/79، بيروت، ص3

غلى الألفية الثالثة بلسان عربي مبين قادر على المواجهة وإثراء الثقافة العالمية، وأزعم أن ليس هناك إستراتيجية لمواجهة العولمة لغويا أعظم من الاعتزاز باللسان العربية والاعتقاد الراسخ بأنه لغة علم وعمل، والتصدي للمؤامرات التي تصاغ لتوظف نفسيا، في إطار عملية الإحباط والهزيمة الداخلية وفق خطة استلاب إرادة الأمة وشخصيتها ومصادرتها[25] وخير سبيل لجعل العربية قادرة على مسايرة اللغات الأخرى في الألفية الثالثة هي أن تعاد الثقة في قدرتها على الوفاء بمتطلبات العصر، وذلك باستخدامها في جميع المجالات التربوية، والثقافية، والعلمية، ووسائل الاتصال الجماهيري وتخصيص نسبة من الميزانية العربية لتشجيع المجامع اللغوية على مواكبة العصر تأليفا وترجمة، مع المشاركة الإيجابية في ظاهرة العولمة التي يفرضها العصر بإعناء المكتبة العربية ومؤسسات الإعلام بإدخال برامج متطورة لجميع أنواع معارف العصر عبر شبكات الأنترنيت وربط اللسان العربية بالتعامل الاقتصادي والسياسي والعلمي في المعاملات الرسمية محليا ودوليا.

[25]-الدكتور حسن جابر، م.س.ص:3